

الجهاد والشهادة عن الأمة



محاور الموضوع

١. بذل الدماء طريق العزة والكرامة
٢. القتال بما هو ليس قيمة ذاتية
٣. الإنسان والجهاد
٤. فضل الجهاد
٥. من هو العدو الحقيقي؟
٦. هل الشهادة تنافي ثقافة الحياة؟
٧. خاتمة: عليكم بالجهاد الأكبر لتوقفوا للجهاد الأصغر

الهدف

اظهار دور الجهاد والشهادة في عزة الأمة
تصدير الموضوع
عن الامام علي عليه السلام: «...إِنَّ الْجِهَادَ أَشْرَفُ
الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ قَوَامُ الدِّينِ،
وَالْأَجْرُ فِيهِ عَظِيمٌ مَعَ الْعِزَّةِ وَالْمُنْعَةِ...»^(١)

(١) نور الثقلين: ج ١ ص ٨٠

بذل الدماء طريق العزة والكرامة

منذ وُجد الإنسان على الأرض، كان الاضطهاد والظلم وكان الصراع بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين الإيمان والكفر، كان بذل الدماء. فالجهاد والشهادة يورثان الكرامة والعزة للأمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: «اغزوا تورثوا أبناءكم مجدا»^(١). وفي الحديث: «إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة...»^(٢)

وأشارت العديد من الروايات الشريفة إلى أن ترك الجهاد في سبيل الله هو سبب في مذلة الأمة وانسلاخ العزة والكرامة منها، وتخييطها بالعار والفقر.

في الرواية المشهورة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، ودُيْتُ بالصغار والقماء، وضُرب على قلبه بالأسد»^(٣)، وأدبيل الحق منه

بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ونصف

القتال بما هو ليس قيمة ذاتية
إن القتال لا يعتبر في الإسلام قيمة من القيم، بل يعتبر ضد القيم من جهة كونه باعثاً على الخراب والتدمير، وإزهاق الأنفس، وإهدار القوى والإمكانات التي يمكن أن تسخر لخدمة الإنسان وسعادته ورفاهه، ولذلك جعل في بعض الآيات القرآنية في مصاف العقوبات الإلهية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْئاً وَلْيَبِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾^(٤).

أما إذا تعرض وجود الأمة للخطر، أو أن أهدافه المقدسة السامية أصبحت مهددة بالسقوط، فإن القتال هنا يعتبر قيمة سامية، ويكتسب عنوان الجهاد في سبيل الله.

وهنا نكتة تستحق الانتباه، وهي أن الإسلام قد أكد على مسألة التعايش السلمي مع أتباع الأديان السماوية الأخرى، فإذا كان الإسلام يؤيد فرض العقيدة والإكراه عليها، ويتوسل بالقوة والسيوف من أجل تحقيق أهدافه، فأى معنى إذن لقانون أهل الذمة والتعايش السلمي؟

الإنسان والجهاد

تميل غريزة الإنسان نحو الراحة والدعة، وتكره كل ما يسلب منها الراحة ويورث العناء وتبتعد تلقائياً عن الأمور الممزوجة بالمخاطر، وأحكام الشريعة تضبط هذه الغرائز بما يتلاءم مع مصلحة

الفرد والمجتمع على حد سواء. ومن هنا كان تشريع الجهاد بما فيه من الآثار الهامة، يقول الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَكَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ يُحِبُّ لَكُمْ وَكَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَتْلُمُ وَأَتَمُّ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥). ويشير القرآن الكريم إلى أمثلة كثيرة لتخلف الناس عن الدعوة القائمة لجهاد العدو والدفاع عن الأرض والعرض والكرامة، ففي سيرة بني إسرائيل أنهم وبعد النبي موسى عليه السلام، تخلفوا عن الالتزام بهذا الواجب المقدس، إلا القليل منهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَمَّا تَرَى الْفَلَاكُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ إِنَّا كُنَّا لَعَلَيْكُمْ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاتِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا لِقِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٦).

وهكذا هم اليهود جبناً في القتال، لا يقاتلون الا من وراء جدر، فاذا حمي البأس فروا وولوا الأديار، ذلك انهم لا يرجون الآخرة، بخلاف أبناء المقاومة الاسلامية الشجعان الذين يقدمون على الشهادة مترقبين فضلاً من الله ورضواناً وجنة عرضها السماوات والارض...

فضل الجهاد

تشير الكثير من الآيات القرآنية والروايات الشريفة إلى فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، وتفضيل الإنسان المجاهد على القاعد، ففي الآية الشريفة يقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٥) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١ ص ٦٨.

(٦) الانعام ٦٥

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية،

أخوندي، الطبعة الثالثة، ج ٥، ص ٨.

(٢) نور الثقلين: ج ١ ص ٨٠

(٣) بالأنداد أي سدت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه.

(٤) الإذالة: النصر والغلبة والدولة.

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا^(١). وتشير بعض الروايات إلى المكانة المرموقة التي يحتلها الجهاد في سبيل الله بين العبادات الشريفة ففي الحديث عن أحدهم عن أبي جعفر عليه السلام: قال: «ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أما أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد^(٢). والسنام هو المكان المرتفع في ظهر الجمل، وهي أعلى نقطة في الظهر، والتشبيه بالسنام في الرواية بل وذروة السنام، واضح في تبيان مكانة الجهاد في رأس هرم الشريعة. وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط قال: فقال له النبي ﷺ: فجاهد في سبيل الله فإنك إن قتلت تكن حياً عند الله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت، رجعت من الذنوب كما ولدت^(٣)».

وللمجاهدين في سبيل الله تعالى مراتب عالية من الكرامة في الآخرة منها ما أشار له الحديث الشريف عن رسول الله الأكرم ﷺ: «إن جبرائيل أخبرني بأمر قررت به عيني وفرح به قلبي قال: يا محمد من غزا غزاة في سبيل الله من أمتك فما أصابه قطرة من السماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة^(٤)».

من هو العدو الحقيقي؟

تقع الكثير من الجهات التي ترفع راية الجهاد في الشبهات، وتصنف الأعداء من دون أن تستند بذلك لمبرر من الشرع المقدس، وهذا ما يحرف مسارها من الدفاع عن الأمة ومصالحتها إلى الإضرار بالأمة. ومن أبرز المصدايق لهذه الجماعات ما يسمى بالتكفيريين، ولشدة ما أساؤوا للجهاد والإسلام بهذا التصرف، أصبح من اللازم أن ننبه إلى خطورة ما لعواقب انحراف مسيرة الجهاد والمقاومة عن المسار الحقيقي، ولهذا ينبغي أن نلجأ للإسلام الحقيقي لمعرفة من هو العدو،

وما هي الطرق الصحيحة والشرعية للجهاد. فالعدو الحقيقي هو الذي يشكل تهديداً حقيقياً من خلال أمرين:

١- **الهجمة العسكرية:** وينبغي في هذا الإطار أن تهب الأمة جمعاء لمقاومة هذا الغزو والدفاع عن الأرض والعرض والكرامات وهذا حق للإنسان تكفلت بمنحه إياه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

٢- **الهجمة الثقافية:** وينبغي أن تجاهه بالعلم والفكر والحوار البناء الساعي للوصول إلى الحقيقة، بدون استعلاء ولا مرءاء، وللجهاد الثقافي دور هام ويتم بأساليب في غاية المرونة، وهو أشبه ما يكون بالطب من حيث الاهتمام والحرص والمداراة، وهو ما يسمى بالتبليغ.

العدو الحقيقي للأمة اليوم: نحن نعيش في زمن سقطت فيه الأقتعة وظهر الأعداء بشكل واضح وعلني، ولا نحتاج لكثير من الوعي لتشخيص العدو المتمثل بالاحتلال الأمريكي والصهيوني. فالإدارة الأمريكية التي تعمل وفق أولوية الحفاظ على الكيان الصهيوني في منطقتنا كشرطي يمنع من قيام الأمة ويسيطر عليها ويستعبدتها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً... لا شك أن هذه الإدارة هي العدو.

والجريمة نفسها هي عدو أيضاً، وهي أداة بيد الإدارة الأمريكية، وهذا ما رأيناه جلياً في حرب تموز ٢٠٠٦م. والتي بذلت فيها كل الإمكانيات العسكرية والسياسية للقضاء على النبط الحي في الممانعة في العالم الإسلامي والعربي.

هل الشهادة تنافي ثقافة الحياة؟

يحاول البعض النيل من أهل الجهاد بترديد شعار نحن نريد الحياة والعيش بسلام، ويعرضون بالجهاد وأهله وأن الشهادة وطلبها هي ثقافة موت.

ولو دققنا قليلاً في فلسفة الشهادة ومعناها الحقيقي وأثارها في الأمة، لعرفنا أن الشهادة في سبيل الله تعالى وثقافة الشهادة هي ثقافة الحياة السعيدة العزيزة الكريمة المحترمة. فالشهادة لا تعني الموت كيشما اتفق، وليست هي موت من أجل الموت، وإلا لكان انتحاراً لا ثمرة له ولا فائدة، بل هي موت واع هادف لإحياء الحياة الحقيقية حياة الكرامة والعزة.

إن الشهيد كالشمعة التي تحترق

وتفنى، لتضيء الطريق للآخرين، ولولا الشهداء والشهادة لما استطاعت الأمة أن تواصل طريقها بحرية وعزة وكرامة.

فعطاءات الشهيد وخدماته هي التي أنبتت وأثمرت عطاءات الآخرين، فبدون حرية كيف يعطي الآخرون؟ والحرية من عطاءات الشهيد. وبدون عزة كيف ينتج ويتقدم الآخرون؟ والعزة من عطاءات الشهيد. وبدون أمن وطمأنينة كيف يبذل الآخرون؟ والأمن والطمأنينة من عطاءات الشهيد.

خاتمة: عليكم بالجهاد الأكبر لتوقفوا للجهاد الأصغر

صنف الرسول الأكرم ﷺ الجهاد إلى قسمين، والذي تحدثنا عنه هو الجهاد الأصغر، ولكي يوفق الإنسان في هذا الجهاد ويصل به لمرتبة يصبح فيها عبادة حقيقية لله تعالى وليكن سناماً لذروة الدين كما في الحديث ينبغي على الإنسان المسلم أن لا يغفل عن الجهاد الأكبر التي أشارت له الرواية المشهورة فمن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أن النبي ﷺ بعث برسيرة فلما رجعوا قال: مرحباً بكم بقوم قضاوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس^(٥)».

ولنتذكر خطبة الجهاد «فتح الله لخاصة أوليائه»، فإن المجاهد الحقيقي هو من أولياء الله الذين استطاعوا أن يهذبوا أنفسهم ويبعدوا بها عن الأخلاق السيئة والمعاصي الذليلة، فلا جهاد حقيقي دون تهذيب النفس، ومن جهة أخرى فالجهاد هو أيضاً من مصاديق تهذيب النفس لأن فيه مخالفة للهوى والغرائز التي تدعو للاسترخاء «وَجَبَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَمَرُّ حَرْزِ نَفْسِكُمْ^(٦)»، وفي النهاية نخلص إلى أن مياديننا الأولى أنفسنا فإن قدرنا عليها فنحن على غيرها أقدر وإن عجزنا في جهاد رغباتها فسينعكس ذلك على حياتنا وجهادنا وأعمالنا كلها.

اللهم أعنا على جهاد أنفسنا وتهذيبها لنوقف في جهاد أعداء الدين، لنعز أنفسنا ونكرمها ونعز أمتنا ونكرمها، ففي الجهاد والشهادة حياتنا الحقيقية وعزتنا وكرامتنا.



(٥) . الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندی، الطبعة الثالثة، ج ٥، ص ١٢.
(٦) . سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(١) . سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٢) . الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندی، الطبعة الثالثة، ج ٢، ص ٢٣ - ٢٤.
(٣) . الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندی، الطبعة الثالثة، ج ٢، ص ١٦٠.
(٤) . الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندی، الطبعة الثالثة، ج ٥، ص ٨.